الإملاء ..

في مشروعية إخفاء موت الأمراء

الشيخ أبو المنذر الشنقيطي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي الكريم وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد :

فإن لحظة موت الأمراء والقادة لحظة حاسمة من تاريخ الأمم والشعوب لما قد يحدث بعد وفاتهم من

انفراط العقد واختلاف الكلمة ..

فالقادة العظام يجمعون الكلمة ويوحدون الصف ، وبموتهم يخلوا الجو لأهل الأهواء والفساد .

وكثيرا ما كان يحدث في التاريخ انتشار الفوضى وظهور التمرد واختلاف الكلمة عندما يتم الإعلان

عن وفاة القائد الذي كان يجمع الناس ويوحد صفهم .

ومن أمثلة ذلك انتشار الردة في أغلب مناطق الجزيرة العربية بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم .

وكان "مالك بن نويرة" استعمله النبي صلى الله عليه وسلم على صدقات قومه. فلما بلغه خبر وفاة

النبي صلى الله عليه وسلم أمسك الصدقة وفرقها في قومه وقال في ذلك :

فقلت خذوا أموالكم غير خائف ... ولا ناظر فيما يجيء من الغد

فإن قام بالدين المحوق قائم ... أطعنا وقلنا الدين دين محمد .

وقد ذكر ابن خلدون أن السلطان طغرلبك سار من بغداد إلى بلد الجيل فلما وصل الرى أصابه

المرض وتوفى فبلغ خبر وفاته إلى بغداد فاضطربت وحمل العامة السلاح لقتال الاعراب وكان سببا

لكثرة الذعار ، تاريخ ابن خلدون (3/ 467

ولهذا فكثيرا ما يقوم حاشية الأمراء وأعوانهم بإخفاء نبإ وفاتهم إلى أن تتهيأ ظروف الإعلان

وتؤمن الفتنة .

ومن أمثلة ذلك في التاريخ :

1- وفاة المنصور

لما توفي المنصور " كتم الربيع الحاجب موته حتى أخذ البيعة للمهدي من القواد وروؤس بني

هاشم، ثم دفن" البداية والنهاية (10/ 129)

2- وفاة الأمير علي بن يوسف بن تاشفين :

توفي أمير المسلمين علي بن يوسف، في السابع من شهر رجب سنة 537 هـ (يناير سنة 1143 م"

فكتم نبأ وفاته ثلاثة أشهر حتى السابع من شوال، ثم أعلنت بعد ذلك ولاية ولده أبى محمد تاشفين .

وكان علي بن يوسف خير أمراء الدولة المرابطية، بعد أبيه العظيم يوسف" دولة الإسلام في

الأندلس (3/ 241)

3- وفاة الملك الكامل :

قال ابن خلكان في ذكره لوفاة الملك الكامل :

توفي يوم الأربعاء بعد العصر ودفن بقلعة دمشق يوم الخميس الثاني والعشرين من رجب وكنت "

بدمشق يومئذ وحضرت الصبيحة يوم السبت في جامع دمشق لأنهم أخفوا موته إلى وقت صلاة

الجمعة فلما دنت الصلاة قام بعض الدعاة على العريش الذي بين يدي المنبر وترحم على الملك

الكامل ودعا لولده الملك العادل صاحب مصر وكنت حاضرا في ذلك الموضع" شذرات الذهب في

(أخبار من ذهب - (5/ 173

: وفاة المولى إبراهيم بن يزيد بتطاوين -4

لما توفي المولى إبراهيم بن يزيد اخفى رؤساء دولته موته ليلتين أو ثلاثا ثم دعوا أهل تطاوين"

(إلى بيعة أخيه المولى السعيد بن يزيد " الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (3/ 152

: وفاة السلطان أبي مروان عبد الملك المعتصم بالله ابن محمد الشيخ السعدي -5

توفي مسموما في معركته مع النصارى الذين قدموا بتحريض من ابن أخيه محمد ابن عبد الله المسلوخ .

وكان مريضا يقاد به في محفة فكان من قضاء الله السابق ولطفه السابغ أنه لم يطلع على وفاته) أحد إلا حاجبه مولاه رضوان العلج فإنه كتم موته وصار يختلف إلى الأجناد ويقول السلطان يأمر فلانا أن يذهب إلى موضع كذا وفلانا أن يلزم الراية وفلانا يتقدم وفلانا يتأخر .....قال منويل وكان أمر هذا الرجل عجبا في الحزم والشجاعة حتى أنه لما مات مات وهو واضع سبابته على فمه كأنه يشير إلى جيشه أن يسكتوا عن الخوض في وفاته حتى يتم أمرهم ولا يضطربوا وكذلك كان فإنهم كتموا موته فانتصروا وظفروا بالنصارى ظفرا لا كفاء له) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى

(5/ 80- 83)

: وفاة الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد بن علي الهاشمي العباسي -6

في ليلة الجمعة ثامن عشر جمادى الأولى سنة إحدى وسبعمائة في وقت السحر توفي بمسكنه)

بالكبش ظاهر القاهرة ومصر المطل على بركة الفيل، وخطب له في ذلك اليوم بجوامع القاهرة

(ومصر، فإنهم أخفوا موته إلى بعد صلاة الجمعة؛) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (2/ 424

: وفاة شاه مازندران -7

توفي شاه مازندران رستم بن علي ابن شهريار بن قارن، ولما توفي كتم ابنه الحسن بن علاء"

(الدين موته أياماً، حتى استولى على سائر الحصون والبلاد ثم أظهره، " الكامل في التاريخ (5/ 95

: وفاة السلطان الظاهر بيبرس -8

،لما مات السلطان بيبرس كتم الأمير بدر الدين بيليك الخازندار نائب السلطة موته عن العساكر"

وحمله في محفة من القصر الأبلق خارج دمشق إلى القلعة في الليل، وجعله في تابوت وعلقه في

بيت، وأشاع إنه مريض ورتب الأطباء على العادة، ثم أخذ العساكر والخزائن، ومعه محفة محمولة

وأوهم أن السلطان فيها مريض، وخرج من دمشق يريد مصر، فلم يجسر أحد أن يتفوه بموت

السلطان. واستمر الحال على ذلك حتى وصلت العساكر إلى القاهرة، وصعدت الخزائن والمحفة إلى

(قلعة الجبل، فأشيع حينئذ موته. ولقد كان من خير ملوك الإسلام." السلوك لمعرفة دول الملوك (1/ 216

: وفاة مأمون الموحدين إدريس بن عبد المؤمن بن علي -9

،توفي وهو في الطريق إلى المعركة قاصدا مراكش فكتمت زوجته حبابة الرومية، أم الرشيد ولده"

خبر وفاته إلا عن الأفراد من القادة وبعض الأشياخ، واتفق القول على مبايعة ابنها المذكور، بيعةً

خاصة ثاني يوم وفاته، ثم جعل في هودج وأشيع أنه مريض، وزحفت الجيوش على تعبيته، وبرز

يحيى بن الناصر من مراكش إلى لقائه، والتقى الجمعان فانهزم يحيى واستولى الرشيد عليه، ودخل

(مراكش فاستقام الأمر،". الإحاطة في أخبار غرناطة (1/ 99

10- وفاة ابن تومرت :

،عندما توفي ابن تومرت كفنه عبدالمؤمن بن علي وصلى عليه، ودفنه سراً بمسجده كما أوصاه"

وقد كتم أصحابه وفاته مدة ثلاثة أعوام ولم يعلنوها إلا في عام 527هـ/ 1132م بعد أن اتفقت

.(كلمتهم على عبدالمؤمن بن علي". دولة الموحدين (ص: 86

وقد زعم بعض المتصيدين في المياه العكرة والمشاغبين على الإمارة الإسلامية أعزها الله أن ما

فعلته من كتم وفاة أمير المؤمنين الملا محمد عمر لبعض الوقت غير جائز ومخالف للشرع لأنه

! كذب وخداع

: ويتبين فساد زعمهم من عدة وجوه

: الوجه الأول : أن كتم وفاة الميت لمصلحة شرعية مرجوة أمر مشروع دل عليه قوله تعالى

.[فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ} [سبأ: 14}

ففي هذه الآية الكريمة يبين الله تعالى أنه أخفى وفاة سليمان عن الجن حتى يعلم الناس كذبهم في

. زعمهم الاطلاع على علم الغيب

: قال العلامة السعدي

،فلم يزل الشياطين يعملون لسليمان، عليه الصلاة والسلام، كل بناء، وكانوا قد موهوا على الإنس)

وأخبروهم أنهم يعلمون الغيب، ويطلعون على المكنونات، فأراد اللّه تعالى أن يُرِيَ العباد كذبهم في

هذه الدعوى، فمكثوا يعملون على عملهم، وقضى اللّه الموت على سليمان عليه السلام، واتَّكأ على

.عصاه، وهي المنسأة، فصاروا إذا مروا به وهو متكئ عليها، ظنوه حيا، وهابوه

فغدوا على عملهم كذلك سنة كاملة على ما قيل، حتى سلطت دابة الأرض على عصاه، فلم تزل

ترعاها، حتى باد وسقط فسقط سليمان عليه السلام وتفرقت الشياطين وتبينت الإنس أن الجن

،لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ } وهو العمل الشاق عليهم، فلو علموا الغيب }

لعلموا موت سليمان، الذي هم أحرص شيء عليه، ليسلموا مما هم فيه.) تفسير السعدي
.(ص: 676)

: الوجه الثاني

أن المآلات معتبرة في أصل المشروعية ، فقد يكون الأمر في الأصل مباحا أو واجبا لكن إذا آل إلى

ضد المصلحة المرجوة منه أو آل إلى مفسدة أكبرمنها ، تنتفي مشروعيته في هذه الحال كما في

.[كقوله تعالى : {وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ } [الأنعام: 108

فإذا كان الإعلان عن وفاة الأمير قد يؤدي إلى الاختلاف والنزاع أو يمكن أن يستغله المفسدون

. للوصول إلى مآربهم الفاسدة ، فإن إخفاء وفاته مشروع

: الوجه الثالث

أن كتم وفاة الأمير إذا كان كذبا فهو لجمع الكلمة ومنع الخلاف والافتراق ، وهذا داخل في الكذب

.من أجل الإصلاح بين الناس الذي دلت النصوص الشرعية على مشروعيته

لحديث أم كلثوم بنت عقبة أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "ليس الكذاب الذي

. يصلح بين الناس فينمي خيرا ، أو يقول خيرا" رواه البخاري ومسلم

: قال الإمام النووي

قال القاضي لا خلاف في جواز الكذب في هذه الصور واختلفوا في المراد بالكذب المباح فيها ماهو)

فقالت طائفة هو على اطلاقه وأجازوا قول ما لم يكن في هذه المواضع للمصلحة وقالوا الكذب

المذموم ما فيه مضرة واحتجوا بقول ابراهيم صلى الله عليه و سلم بل فعله كبيرهم وإني سقيم

وقوله إنها اختي وقول منادي يوسف صلى الله عليه و سلم ايتها العير انكم لسارقون قالوا ولا

خلاف أنه لو قصد ظالم قتل رجل هو عنده مختف وجب عليه الكذب في انه لا يعلم أين هو) شرح

(النووي على مسلم (16/ 158

: الوجه الرابع

أن الإمارة الإسلامية في حرب مع أعدائها ، والحرب من المواضع التي يشرع فيها الكذب ، كما في

حديث أم كلثوم بنت عقبة السابق : "ولم أسمع يرخص فى شىء مما يقول الناس كذب إلا فى ثلاث

."الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها :

: الوجه الخامس

أن المجاهدين في الإمارة الإسلامية في حرب مع أعدائهم ، والحرب مبنية على الخداع لما صح

. عن جابر بن عبد الله ، رضي الله عنهما ، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم الحرب خدعة" رواه البخاري

ولهذا قال علي رضي الله عنه : إذا حدثتكم عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فلأن أخر من

. السماء أحب إلى من أن أقول عليه ما لم يقل وإذا حدثتكم فيما بينى وبينكم فإن الحرب خدعة.رواه مسلم

وليعلم الإخوة الكرام أن ما قامت به الإمارة الإسلامية من كتم خبر وفاة أمير المؤمنين الملا محمد

: عمر مولوي رحمه الله كان له إلى جانب المقصد الرئيس عدة فوائد منها

1- تبيين مدى ضعف المخابرات الأمريكية التي تزعم أنها تعلم كل صغيرة وكبيرة في العالم

. وتتجسس حتى على رؤساء الدول

2- بيان كذب المبغضين للإمارة الإسلامية الذين زعموا بأنها مخترقة من طرف مخابرات

الأعداء ، فكيف تكون مخترقة ومع ذلك تعجز هذه المخابرات عن العلم بوفاة أمير المؤمنين

الملا محمد عمر رحمه الله .

3- بيان مدى زهد كبار قادة طالبان في السلطة والرئاسة وعدم تكالبهم عليها ، فلو كانوا

يريدون السلطة والنفوذ والظهور لشرعوا في التنافس عليه بمجرد وفاة امير المؤمنين الملا

محمد عمر رحمه الله ،لكنهم تركوا الأمر كل هذه الفترة التي يقول البعض بأنها وصلت إلى

سنتين !

وقد رأينا بعض الأبناء يتنازعون على تركة أبيهم في أول يوم بعد دفنه !

4- ظهر من خلال هذا الأمر مدى حكمة القادة الكبار في الإمارة الإسلامية ومدى حرصهم

على بقاء كلمة المجاهدين موحدة في حربهم مع أعدائهم .

5- وظهر أيضا من خلال هذا الأمر مدى لحمة المجاهدين في الإمارة الإسلامية ووحدتهم

حيث استطاعوا أن يتابعوا المسيرة ويواصلوا الحرب مع الأعداء في ظل عدم وجود فعلي لقائد

. يسيرهم ولو لم يكن هناك تناغم وانسجام لما أمكن ذلك

وتبين أيضا أن أمير المؤمنين الملا محمد عمر رحمه الله لم يكن مستبدا وأن الإمارة -6

الإسلامية تدار بالشورى الجماعية بين القادة وأهل الحل والعقد ، ولهذا لم تتوقف مسيرتها

. برحيل أمير المؤمنين الملا محمد عمر رحمه الله

هذا ونقول لكل المشاغبين على الإمارة الإسلامية والساعين إلى تفريق الكلمة : إن الإمارة

. الإسلامية في أفغانستان تحب المسلمين ويحبها المسلمين

. نسأل الله تعالى لها المزيد من النصر والتمكين

والله أعلم والحمد لله رب العالمين

كتبه:

أبو المنذر الشنقيطي

شوال 1436 هـ 28